مجلة آفاق علمية ISSN: 1112-9336
المجلد: 16 العدد: 01 السنة 2024 ص 577 - 588

تاريخ الإرسال: 2024/03/28 تاريخ القبول: 2024/04/23
تاريخ النشر: 2024/05/16

رؤى لسانية في النحو الوظيفي للغة العربية عند أحمد المتوكل

Linguistic insights into the functional grammar of the Arabic language according to Ahmed Al-Mutawakkil

د. بن خميس التوفيق.[1] ؛ د. أعبيد بشير[2]
– جامعة باتنة 1 – (الجزائر)، toufik.benkhemis@univ-batna.dz
– جامعة باتنة 1–(الجزائر)، albachir72@gmail.com
مخبر الشعرية بكلية اللغة والأدب العربي والفنون لجامعة باتنة 1

الملخص

إن المتتبع لكتابات أحمد المتوكل منذ عام 1982م، يرى بأنه يهدف إلى تأسيس نحو وظيفي للغة العربية ومحاولة رصد كل القضايا ذات الصلة بهذه اللغة، فاتخذ المتوكل نظرية النحو الوظيفي للساني الهولندي (سيمون ديك)، إطارًا نظريا له يشكل مرجعا أساسا لفرضياته ومفاهيمه وتصوراته، لمعالجة مجموعة من قضايا اللغة العربية، ومن خلال ما سبق ذكره ارتأينا أن تروم هذه الورقة البحثية حول أهم التحليلات التي اعتمد عليها أحمد المتوكل في وصف و تفسير قضايا اللغة العربية، ومن أهم ما توصلت إليه هذه الدراسة، هي أن جهود أحمد المتوكل و كتاباته ساهمت في تفسير العديد من قضايا اللغة العربية.

الكلمات المفتاحية: أحمد المتوكل، النحو الوظيفي، قضايا اللغة العربية، التحليلات

Abstract

Anyone who studies Ahmed Al-Mutawakkil's writings since 1982 AD will see that he aims to establish a functional grammar for the Arabic language and try to monitor all issues related to this language. Al-Mutawakkil took the theory of functional grammar of the Dutch language scholar (Simon Dick) as a theoretical framework for him that constitutes a basic reference for his hypotheses, concepts, and perceptions. It started from this framework to address a group of Arabic language issues from the point of view of functional grammar, and through what was mentioned above, we decided that this research paper aims to address the most important analyzes that Ahmed Al-Mutawakkil relied on in describing and interpreting Arabic language issues, and among the most important findings This study indicates that Ahmed Al-Mutawakkil's efforts and writings contributed to the interpretation of many issues of the Arabic language.

Keywords: Ahmed Al-Mutawakkil, functional grammar, Arabic language issues, analyses.

المرسل: د. بن خميس توفيق، الإيميل: TOUFIK.BENKHEMIS@UNIV-BATNA.DZ

1.مقدمة:

يندرج الاتجاه الوظيفي في زمرة تيارات البحث اللساني المعاصر، حيث يحوي كل النظريات التي تنظر إلى اللغة من جانبها الوظيفي التداولي ، و تعود أصوله إلى جملة من الجهود والأعمال اللسانية، انطلاقا من مدرسة براغ، وجهود اللسانيين التشيكيين الذين عرفوا بالوجهة الوظيفية للجملة، أمثال رومان ياكبسون و تروبوتسكوي و مارتيني و غيرهم، و كذا أعمال المدرسة النسقية (لندن)، بزعامة فيرث، وهذا الاتجاه ينتمي إلى التيار البنيوي الذي تأسس نتيجة القطيعة

الإبستمولوجيه، التي أحدثها العالم السويسري فاردينانند دوسوسير، الذي اعتبر اللغة وسيلة من وسائل التواصل، هذا الجانب الذي أولاه أتباعه أهمية كبيرة، وهذا مهد السبيل لمجموعة من اللسانيين للبحث في إبراز الوظائف المختلفة للعناصر اللسانية، فهتم كل منهم بالوظيفة في اللغة من زاوية مختلفة ، فهناك من اهتم بالجانب الصوتي و آخر بالجانب التركيبي، و آخر في الجانب الدلالي. و بعد كل هذه الأبحاث المتباينة برز جانب آخر وهو المستوى التداولي، و من خلال هذا التطور ظهر لسانيون و باحثون اتبعوا إتجاها مغايرا، تميز بالاستقلال عن سابقيهم، ومن أبرزهم اللساني الهولندي (سيمون ديك)، مؤسس نظرية النحو الوظيفي، هذا الاتجاه الجديد هو في أصله امتداد للمدرسة الوظيفية السابقة، إلا أنهم أضافوا إلى ما جاء به من سبقهم، أفكارا اقتبسوها من اللسانيات التداولية وعلم اللغة النفسي، وعلم اللغة الاجتماعي، هذا النموذج الذي تبناه أحمد المتوكل كإطار نظري له و اتخذ نظرية النحو الوظيفي كنموذج للنحو العربي، دون نبذ القديم ،إذ حاول الاستفادة منه في بناء نحو وظيفي للغة العربية ، كما انطلق منه لأجل معالجة العديد من قضايا اللغة العربية. ومن خلال ما سبق ذكره يمكننا أن نطرح الإشكالية الآتية: ماهي أهم التحليلات التي اعتمد عليها أحمد المتوكل في تفسير ومعالجة مجموعة من قضايا اللغة العربية من منظور النحو الوظيفي؟

2. الاتجاه الوظيفي في الثقافة العربية:

إن الانطلاقة الأولى لتعرف ثقافتنا على اللسانيات كان بفضل ثلة من اللسانيين العرب الذين كانوا ضمن البعثات الطلابية إلى الجامعات الأوروبية، ومن بينهم إبراهيم أنيس وتمام حسان ومحمود السعران وعبد الرحمان أيوب وكمال بشر، وبعد عودتهم إلى أوطانهم تفرغوا للتدريس والبحث اللساني في الجامعات المصرية التي كانت تمثل الخطوة الأولى لدخول اللسانيات في رحاب الثقافة العربية، فتأثر

اللسانيون العرب بمفاهيم التيار الوظيفي التي قعد له اللساني الإنجليزي فورث(firth) مؤسس المدرسة النسقية[1] (1)

كما أراد بعض اللغويين العرب معرفة أوجه للتماثل بين التيار الوظيفي وبعض الأصول اللغوية العربية، [2] (2)

على هذا الأساس فإن النظرية التي سننطلق منها للوصول إلى مبتغانا هي نظرية النحو الوظيفي لسيمون ديك، التي تعتبر منعرجا هاما في الدرس اللغوي،حيث كان للدراسات العربية قسمتها منها من خلال بحوث المتوكل الذي سنعتمد كتاباته وإسهاماته في إثراء النموذج الوظيفي ومعالجته لقضايا اللغة العربية [3]

3. النحو الوظيفي لسيمون ديك:

سيمون ديك، هو المؤسس الأول لنظرية النحو الوظيفي وذلك راجع لجهوده وأبحاثه الكثيرة التي مكنته من تحديد الأبعاد النظرية والمنهجية للنظرية، كما استطاع العاملون على هذه النظرية أن يعرضوا أبحاث لغوية مختلفة مست الجانب التركيبي والجانب المعجمي والدلالي والتداولي في لغات مختلفة تعود إلى فصائل متباينة نمطيا.

وفي هذا السياق لا يمكن إنكار البحوث والدراسات القيمة التي قام بها أحمد المتوكل من أجل تدعيم وإغناء الدراسات النحوية العربية بمفاهيم ومصطلحات حديثة في ظل هذه النظرية، وذلك بفضل تمكنه من التراث العربي وحسن فهمه واستيعابه للنظريات اللغوية الحديثة. [4]

4. المبادئ العامة لنظرية النحو الوظيفي:

1.4 الوظيفة الأساسية للغة:

يعرّف النحو الوظيفي بأنه: ذلك النحو الذي لا يقتصر على الدور الذي تلعبه الكلمات أو العبارات في الجملة أي الوظائف التركيبية (أو النحوية: كالفاعل

والمفعول)، لأن هذه الوظائف لا تمثل إلا جزءا من كل، تتفاعل مع وظائف أخرى مقامية (أو تبليغية: هي الوظائف الدلالية والتداولية)، بحيث تترابط الخصائص البنيوية للعبارات اللغوية بالأغراض التبليغية (التواصلية) التي تستعمل هذه العبارات وسيلة لبلوغها. وبهذا يكون النحو الوظيفي «هو ذلك الجهاز المركب من محصلة كل هذه الوظائف (التركيبية، الدلالية، التداولية) المتضافرة فيما بينها».[1]

يرى الوظيفيون اللغويون أن للغة وظائف متعددة وليس لها وظيفة واحدة، وهذا ما أشار إليه كل من رومان ياكبسون وهاليداي وتروبسكوي و مارتيني و غيرهم من الوظيفيين، وبالرغم من ذلك فإن "ما يهم القاعدة المتفق عليها بين جميع الباحثين أن اللغة هي أداة للتواصل ، صحيح أن الوقائع لا نهائية، ومع ذلك فإن كل لغة تملك إمكانية التعبير عن هذه الوقائع لتحقيق التواصل." [5] (5)

2.4 مجال البحث اللساني ومناهج العمل:

إذا كان الوظيفيون يتفقون على أن الوظيفة الأساسية للغة هي التواصل فإنه من الطبيعي أن ينتقل البحث اللساني من القدرة النحوية للغة إلى القدرة التداولية، ففهم اللغة فهما عميقا لا يتحقق إلا عن طريق ربطها بالأهداف التداولية التي تستعمل من أجلها، وبناءا عليه لا يخرج النسق اللغوي عن الاستعمال اللغوي على الرغم من اختلاف النسق وتميزه عن الاستعمال، إذ لا يمكن تجريد اللغة عن أخص خصائصها. [6]

3.4 مهام اللساني:

تكمن مهام اللساني في هذا الاتجاه في بناء نسقين من القواعد كل منهما يكتسي طبيعة اجتماعية:

([1])أحمد المتوكل، "اللسانيات الوظيفية –مدخل نظري-: "ط.1، المغرب، الرباط، منشورات عكاظ، 1989م"، ص 56.

أ. القاعدة التداولية

ب. القاعدة الدلالية التركيبية الصوتية[7]

وهو ملزم أيضا بأن لا يكتفي عند وضع القواعد فقط، بل عليه أن يفسرها انطلاقا من وظيفتها، وذلك بالنظر إلى الطرق التي تستعمل بها العبارات اللغوية، وأهداف تلك الاستعمالات، أما الجانب الذي يهتم به اللغوي فهو الجانب اللفظي أوالجانب المكتوب، لتحقيق أفضلية تحديد الطريقة التي يعتمد عليها الناس في التعامل بلغاتهم فيما بينهم، لذلك يعتبر التداول إطارا شاملا يجب أن يدرس داخله التركيب والدلالة. [8]

ومن المهام التي يجب على اللساني القيام بها إذا أراد متابعة البحث في القدرة التواصلية، ضرورة الكشف عن نسق النحو الكلي، الذي يضمن نمطين من الكليات: كليات صورية وكليات وظيفية، كما عليه أن يربط بينهما من خلال تفسير هذه الكليات وذلك بتحديد أهداف التواصل، والتكوين النفسي والبيولوجي لمستعملي اللغات الطبيعية وتحديد المقامات التي يتم فيها استعمال اللغة، كما أنه مطالب بتفسير ظاهرة الاكتساب اللغوي عند الطفل، إذ يفترض الوظيفيون أن الطفل مدعم بدخل واسع من المعطيات اللغوية الموجودة في المقامات الطبيعية. [9]

4.4 هدف البحث اللساني:

ترمي الدراسة اللغوية في هذا التيار إلى تطبيق ثلاثة أنماط من الكفايات، وتنحصر أسس الكفاية في نوعين: أساس الكفاية الوصفية وأساس الكفاية التفسيرية، وهذه الأخيرة تتفرع عنها ثلاثة أصناف من الكفايات وهي: الكفاية النمطية والكفاية النفسية والكفاية التداولية.

1.4.4 الكفاية النمطية:

يهدف أساس الكفاية النمطية إلى أن يستعمل في مجموعة كبيرة من اللغات من أجل الوصول إلى أوجه التشابه بينها. [10]

يري صاحب نظرية النحو الوظيفي أنها يجب أن تكون قادرة على تحديد حدود اللغات ذات أوصاف مختلفة، والوقوف على أوجه الاختلاف والتشابه بين كل هذه اللغات. [11]

2.4.4 الكفاية النفسية:

هي تجزئة وانقسام الصور النفسية إلى صور فهمية، حيث تلعب هذه الصور دورا كبيرا عند المتكلم وذلك بمساعدته في إنتاج وترتيب الألفاظ ونطقها، كما تساعده في فهم مقصود المخاطب وتأويل كلامه. [12]

3.4.4 الكفاية التداولية:

يكون للكفاية التداولية أهمية وذلك انطلاقا من كلام صاحب النظرية إذا تمكنت هذه الأخيرة تحديد مميزات الألفاظ اللغوية وكيفية استعمالها. فيجب النظر إلى هذه الالفاظ على أنها طرائق يعتمد عليها المتكلم لإيصال دلالة معينة في سياق توجِّهُه الألفاظ التي سبقتها. [13]

5. التيار الوظيفي عند أحمد المتوكل:

1.5 الإطار النظري العام:

كل باحث ملزم بتبني إطار نظري يشكل بكل خلفياته وفرضياته مرجعا أساسا له، حيث يتبنى أحمد المتوكل النحو الوظيفي إطارا نظريا له، وهو اختيار مرهون بمجموعة من المسوغات [14] قال عنها المتوكل، أن نظرية سيمون ديك هي نظرية وظيفية تداولية، بحيث تنفرد هذه النظرية علن غيرها من النظريات التداولية، بتنوع مصادرها الوظيفية. [15]

2.5 الهدف اللساني المتوكلي:

المتدبر للأبحاث والمفاهيم التي وصل إليها أحمد المتوكل يتفطن إلى الهدف الذي يريد أن يحققه المتوكل وهو بناء نحو وظيفي للغة العربية يمكنه من إحصاء

كل ما يتعلق بهذه اللغة من مشكلات[16] ، وهذا ما صرح به في قوله أن كل الأبحاث والدراسات التي قام بها هي الوصول إلى تدعيم الدراسات اللغوية العربية، وكذا إثراء النحو الوظيفي. [17]

فأحمد المتوكل "يريد أن يرسى قواعد جديدة من شأنها تعزيز إعادة قراءة الدرس اللغوي القديم وإبراز أصالته وأهميته وإعادة بعثه في حلة جديدة تمزج بين الأصالة والحداثة" [18]، وهو صاحب المشروع اللساني العربي الذي «يعد من أنضج المشاريع اللسانية العربية الحديثة وأكملها لكونه مشروعا واضح المعالم من حيث موضوعه وأهدافه وأدواته المفاهيمية والإجرائية»[19] حتى إن بعض اللسانيين المعاصرين اعتبر مشروع الأستاذ أحمد المتوكل بمثابة رد الاعتبار للفكر اللساني العربي القديم. زيادة على ذلك فإن المتوكل لم يهتم بالجانب الوظيفي للغة العربية فقط، بل أسمى من ذلك وهو إغناء النحو الوظيفي ببعض من الأفكار الموجودة في الدرس اللغوي العربي. [20]

6. نحو اللغة العربية الوظيفي عند أحمد المتوكل:

حدد المتوكل في دراساته تفسيرا لمجموعة من قضايا اللغة العربية من وجهة نظر النحو الوظيفي ويمكننا إجمال تحليلاته فيما يلي:

ـ تحليلات معجمية.

ـ تحليلات تركيبية.

ـ تحليلات تداولية. [21]

1.6 التحليلات المعجمية:

تنطلق تفسيرات أحمد المتوكل المعجمية من مبدأ أساس، يعتمده في حصر العبارات الأصول في اللغة العربية، ويقوم هذا المبدأ على أن الأصول مفردات متحققة وأن الأفعال مشتقة من أحد الأوزان الثلاثية: " فعَل" و"فعِل" و"فعُل". وأن

باقي المفردات مصوغة عن طريق أوزان معينة" [22] . ومن أجل أن يوضح المقصود بالمفردات المشتقة يميز بين الاشتقاق المباشر والاشتقاق الغير مباشر. فإذا كانت المفردة(قاتَل) مشتقة مباشرة من (قتَل) فإن المفردة(تقاتَل) مشتقة من (قاتَل)، وبالتالي فهي مشتقة بكيفية غير مباشرة من (قتَل). وهذا يعني أن الاشتقاق يقوم في اللغة العربية على مفردات أصول بالنسبة إلى (فعَل وفعِل وفعُل). ومفردات مشتقة من هذه الأصول تصبح هي بدورها أصولا بالنسبة إلى مفردات أخرى مشتقة منها وتسمى هذه الظاهرة بـ " السلسلة الاشتقاقية". [23]

كما بينت كتابات المتوكل الوظيفية الكيفية التي يتم بها تطبيق قواعد تكوين المحمولات الفعلية في اللغة العربية سواء في صورتها العامة أو من حيث التغيرات الصرفية والدلالية التي تحدثها. ومظاهر الاختلاف والائتلاف بين قواعد تكوين المحمولات ".[24]

2.6 التحليلات التركيبية:

عرض المتوكل بالوصف والتحليل للوظيفتين الفاعل والمفعول في اللغة العربية، واستدل على ورود هاتين الوظيفتين باعتبارهما تحددان وظيفيا المستوى المنطلق منه لتحديد ما يدل عليها المحمول. كما يبين التحليل الوظيفي الذي قام به أن الوظيفة التركيبية "الفاعل" تسند في اللغة العربية للحدود، الحاملة للوظائف الدلالية " المنفذ" و " المتقبل" و " المستقل" و " المكان" و " المتموضع" و "الحائل" كما توضح الأمثلة التالية:

ـ انطلق خالد (منفذ)

ـ اتكأت هند على الأريكة (متموضع)

ـ هزلت زينب (حائل)

ـ بنيت الدار (متقبل)

ـ صيم يوم الاثنين (زمان)

أما الوظيفة التركيبية (المفعول)، فتستند للحد المستقبل، والحد المتقبل، ثم أحد الحدود الحاملة للوظائف الدلالية " المكان" أو " الزمان" أو " الحدث" كما حدد سلمية إعراب هاتين الوظيفتين التركيبيتين والقواعد المتحكمة في موقعتهما والقيود التي تخضع لها عملية الموقعة في اللغة العربية. [25]

3.6 التحليلات التداولية:

اهتم المشروع المتوكلي بتحديد طبيعة الوظائف التداولية في اللغة العربية، فالنحو الوظيفي يبين نوعين من الوظائف التداولية: وظائف داخلية وأخرى خارجية فالوظيفتان الخارجيتان هما المبتدأ والذيل.

أما الوظيفتان الداخليتان هما: البؤرة والمحور، ويتم تحديد هذه الوظائف على الشكل التالي:

ـــ المبتدأ: هو الذي يحدد مجال الخطاب الذي يعد الحمل الموالي واردا بالنسبة إليه مثل: زيد قرأت كتابه.

ـــ الذيل:" هو الذي يفسر أو يوضح أو يصحح معلومة واردة في الحمل"، مثل قرأت كتابه زيد.

ـ البؤرة: " وتسند للمكون الحامل للمعلومات ذات قيمة كبيرة في الجملة" بحسب مقترح سيمون ديك مثل: البارحة، أتممت كتابة المقال (لا اليوم)".

ـــ المحور: " وهي الوظيفة التي تسند للمكون الدال على الذات التي تشكل محط الحديث داخل الحمل"، مثل: متى أتممت المقالة" [26].

7.خاتمة:

لقد استطاعت نظريه النحو الوظيفي وضع بصمتها وحفر آثارها في الدراسات النحوية اللسانية الحديثة، فأصبحت الوريث الشرعي للدراسات الوظيفية السابقة

وتعمل على أن تصبح بديلا عن النظريات التي عاصرتها، ولقد اتخذها أحمد المتوكل كإطار نظري له تشكل مرجعا أساسا لدراساته وكتاباته. ومن خلال ما تم معالجته يمكن أن نخلص إلى مجموعة من النتائج نجملها فيما يأتي:

ـ يصنف أحمد المتوكل ضمن الاتجاه الذي يروم بين التوفيق بين القديم والحديث وهو الاتجاه الأقرب في نظره لدراسة معطيات اللغة العربي.

ـ أثمرت الجهود اللغوية لأحمد المتوكل وكتاباته في معالجة وتفسير مجموعة من قضايا اللغة العربية.

ـ اتخذ أحمد المتوكل نظرية النحو الوظيفي لسيمون ديك كإطار نظري له وحاول الاستفادة منه في بناء نحو وظيفي للغة العربية ومعالجة العديد من قضايا اللغة العربية من منظور النحو الوظيفي.

8.الهوامش والإحالات:

[1]– ينظر: حافظ إسماعيلي علوي، اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة، دار كنوز المعرفة، عمان،2018، ص368.

[2]– ينظر: المرجع نفسه. ص369.

[3]– المرجع نفسه، ص 369

[4]– ينظر: يحيى بعطيش، نحو نظرية وظيفية للنحو العربي، أطروحة دكتوراه علوم، جامعة منتوري، قسنطينة. الجزائر، 2005–2006، ص77.

[5]– حافظ إسماعيلي علوي، اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة،ص370.

[6]– ينظر: المرجع نفسه، ص ن.

[7]– ينظر: المرجع نفسه، ص ن.

[8]– ينظر: المرجع نفسه، ص371.

[9]– ينظر: المرجع نفسه، ن ص.

[10]– أحمد المتوكل، المنحى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي (الأصول والامتداد)، ص68.

[11]– نعيمة الزهري، التعجب في اللغة العربية، ص141–142.

[12]– ينظر: نجيب بن عياش، الكفاية التفسيرية في النحو الوظيفي وتطبيقاته، أطروحة دكتوراه علوم، جامعة لمين دباغين، سطيف2، ص70.

[13]– أحمد المتوكل، المنحى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي (الأصول والامتداد)، ص64.

[14]– ينظر: أحمد المتوكل، الوظائف التداولية في اللغة العربية، ص 7.

[15]– المرجع نفسه ن ص.

[16]– ينظر: المرجع نفسه ن ص.

[17]– المرجع نفسه، ص372.

[18]– حافظ إسماعيلي علوي، اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة،ص372.

[19]– نعيمة الزهري، "البلاغة العربية والمقاربة النصية الحديثة، انفصال أم تواصل"، (مداخلة مقدمة بالندوة الوطنية حول إنتاج الخطاب)، «جامعة عين الشق، المملكة المغربية، أيام 17–18–03–2004م»، ص 74، 75.

[20]– المرجع نفسه. ص372.

[21]– ينظر: المرجع نفسه، ص373.

[22]– المرجع نفسه، ن ص.

[23]– المرجع نفسه، ن ص.

[24]– ينظر: المرجع نفسة، ص 373.

[25]– أحمد المتوكل، من البنية الحملية إلى البنية المكونية.

[26]– أحمد المتوكل، استثمار المصطلح التراثي في اللسانيات الحديثة، ص 49–50.